إن التوحيد أعز و أخلص من أن يتلقى تعريفه من المخلوق، فمبدؤه بإفراد الله بالتلقي لمعناه كما يفرد بالتلقي للعقائد و الأحكام و ما يترتب عليهما، فعدم إفراده في هذا شرك، و ترك التلقي عن الله بالكلية استكبار، والتوحيد وسط بين هذا و ذاك.

و قد بين الله التوحيد في كتابه المبين أوضح بيان و ذلك بمدحه و مدح أهله تارة و بذم الشرك و أهله تارة أخرى.

و قد حث الله في كتابه على إفراده بالتلقي - خاصة في هذا الأمر – لكي لا يؤدي تركه إلى تلقي معناه على غير مراده سبحانه فيصير صاحبه من الهالكين، قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ)

ولم تكن فتنة خلق القرآن إلا لقطع التلقي عن الله وحده و إهمال كتابه فهي هدم للدين من أصله.

و قال يوسف عليه السلام و هو مستضعف يدعو إلى التوحيد (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

و قال واصفا لمن أكرمهم بالتوحيد (مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)

فعلم أن من التوحيد : إفراد الله بالحكم و التشريع تلقيا و التزاما

و أن منه إفراد الله بالعبادة بجميع ما تتضمنه كلمة عبادة من شعائر و نسك و ذلك بالتلقي عن الله وحده كما سبق

و أن منه إفراد الله في الولاية و الحب.

و بالجملة فالتوحيد هو إفراد الله بما يستحق عملا و قصدا و إفراده بما يختص به معرفة و إثباتا.

فمن الأول إفراده بالحكم و التشريع و التحليل و التحريم تلقيا و التزاما:

فنفى الله الشرك في ذلك في قوله (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) و قوله (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) تعجبا و إبطالا، و قوله (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) و قوله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) و قوله (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

و أثبت لنفسه ذلك و أمر بحكمه بطاعة رسوله و تحكيمه فقال (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) و قال (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) و قال (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

و منه إفراده في صرف الشعائر والنسك التعبدية:

فنفى الشرك في ذلك فقال (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) و قال (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) و قال (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ)

و أثبت إفراده بذلك فقال (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) و قال (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) و قال (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)

وجمع بين ما ذكر فقال (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) و قال (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) و قال (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) و قال (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)

و منه إفراده بالولاية و الحب:

فنفى الشرك في محبته و ولاية غير ولايته و أوليائه فقال (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)

و قال (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) و قال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) و قال (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)

و أثبت ولايته و ولاية أوليائه فقال (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)

و جاء في جمع ما سبق قوله تعالى (مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) واصفا لأوليائه الذين قال فيهم (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) و قال (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) و قال (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) و قال (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) و قال (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

فكل من الدعاء و التوكل و الخوف و الرجاء و الخشية و الخشوع و الإنابة و التوبة و الذبح و النذر و الصلاة و الزكاه و الصوم و الحج هو من مسمى العبادة

و كل من تلقي العقائد و الأحكام و ما يترتب عليهما و التزام ذلك و طاعة الله و رسوله هو من مسمى العبادة

و كل من المحبة لله و لرسوله و للمؤمنين و الموالاة لله و لرسوله و للمؤمنين في هذا كله هو من مسمى العبادة

فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأفعال الظاهرة و الباطنة و لا يصرفها لغير الله إلا مشرك كافر.

و من الثاني (أي إفراد الله بما يختص به معرفة و إثباتا) :

إفراد الله بأفعاله (توحيد الربوبية) : كالخلق و الملك و التدبير و الرزق و الأمر و التشريع و التحليل و التحريم و سائر أفعاله سبحانه فتعتقد انفراده بها

قال تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) و قال (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) و قال (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) و قال (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89)) و قال (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) و قال (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)

و هذا التوحيد لا ينكره المشركون لكونه اعتقادي و مع ذلك قد ينكره البعض على وجه الإستكبار و هذا بخلاف العملي فإن الخصومة مع أهل الشرك فيه

و من الثاني ايضا : توحيد الأسماء و الصفات: أي إفراده بما سمى و وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه من غير تحريف و لا تعطيل و من غير تكييف و لا تمثيل بل نؤمن بأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) و كذا في قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)) و قوله (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

هذا هو التوحيد لا يصح إلا بالأمرين معا

توحيد عملي و هو الكفر بالطاغوت و الإيمان بالله.

فالكفر بالطاغوت هو :

1- اعتقاد بطلان الشرك بكل معانيه.

2- و تركه.

3- و بغضه .

4- و الشهادة بكفر أهله أعيانا.

5- و معاداتهم في الله و لو كانوا أقرب قريب.

ففيه نفي الآلهة و الأرباب و الطواغيت و الأنداد.

و الإيمان بالله هو

1- أن تعتقد أن الله هو المعبود بالحق وحده دون ما سواه.

2- و تخلص جميع العبادات لله، فلا تصرف شيئا منها لغيره.

3- و الشهادة بإسلام أهل التوحيد أعيانا.

4- و تحب أهل الإخلاص.

5- و تواليهم و لو كانو أبعد بعيد.

ففيه التوجه لله وحده و التعظيم له و المحبة له و الخوف له وحده.

فما لم يأت العبد بهذا التوحيد فليس بموحد

و توحيد اعتقادي : و هو إفراد الله بأفعاله و أسمائه و صفاته و هما توحيد الربوبية و توحيد الأسماء الصفات.

فما لم يأت العبد بهذا التوحيد فليس بموحد

واعلم أن كلا التوحيدين متلازمان فمن زعم أنه يعتقد كل ما يقتضيه التوحيد ثم لم يأت بالتوحيد العملي فهو كافر، وكذلك من أتى بالتوحيد العملي و أنكر الإعتقادي منه فهو كافر.

و هذه هي ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ) فلو كان إبراهيم عليه السلام يدعوا قومه إلى مجرد الإعتقاد لأقروه عليه و لفتحوا له مدارس و كليات لعلوم التوحيد ما دام لا يتبرأ من قومه و لا يسفه أحلامهم و لا يسب آلهتهم و لا يبدي لهم عداوة أو بغضاء و إذا لما ألقوه في النار ولما أخرج المؤمنون من ديارهم و لما عذبوا و لما قتلوا تقتيلا فمن كان صاحب رشد فلا يموتن إلا و هو موحد فإننا لابد إلى الله راجعون و سنسأل عما أجبنا به المرسلين.

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.

[معلوم من الدين بالضرورة]

مختصر
في
بيان التوحيد

الذي هو حق الله على العبيد

لا ينبغي لمسلم الجهل به

إعداد :

أبو الفداء محمد بن إلياس المغربي

(تهدى و لا تباع)

- دار التوحيد -

هذه المطوية تحتوي على ألفاظ الجلالة وآيات قرآنية و أحاديث
احذر من تركها في مكان مهين